الروائية إيفي وايلد:

اميـــل للكاتـبـــة عـــن اماكـــن لا اكـــون فيهـــا

فازت الروائية الاسترالية الانكليزية الشابة إيفي وايلد بجائزة جون رايز في لندن على عملها الروائي (بعد النار، صوت صغير ساكن After a Fire a Still Small Voice) ، المكون من ثلاث حكايات عن ثلاثة أجيال من الاستراليين. و قد أجرت مجلة غرانتا Granta مقابلة بهذه المناسبة، ضمن مشروعها الثقافي لإيصال أصوات الكتّاب المبدعين.

عادل العامل

× نأمل أن تحدثينا عن تجربتك الأدبية، أولاً من أين أنت بالضبط؟

×× لقد نشأتُ في بيكهام راي، بجنوب لندن، مع زيارات متكررة إلى استراليا حيث تعيش أسرة أمي. و حين كنت صبيةً اعتدتُ أن أقول للناس أنني من استراليا، محاولةً مني لأبدو أكثر أهمية ـ لكن تلك كانت في الواقع كذبة. فأنا ثنائية الجنسية، و في الحقيقة من جنوب شرق لندن.

× متى بدأت تكتبين القصة؟ و لماذا اخترتِ هذا اللون الأدبي؟

– كنت على الدوام أود أن أكون رسامة، لكني لم أكن جيدةً في الرسم. و حين كنت في المدرسة، وجدتُ أني أتلقى نفس الرضا عن كتابة القصة القصيرة الذي أتلقاه و أنا أرسم صوري الشخصية الفظيعة ـ فقط النتائج كانت أفضل كثيراً. و قد كتبتُ في فترة المراهقة مادةً رهيبةً من الواقعية السحرية حول فتيات جذّابات لديهن علاقات غرامية مع رجال شيوخٍ لهم أعمدة فقرية ملتوية.

× درست للحصول على الماجستير في الكتابة الإبداعية في جامعة لندن. كيف ساعدك هذا ككاتبة، أو عرّفك بالطريقة التي تكتبين بها؟ هل تظنين أن الحصول على درجة في الكتابة الابداعية فكرة طيبة؟

– إن لدى عدد من الناس فكراً مضحكة عن الكتّاب، مثل أنهم يولدون و الروايات جاهزة في داخلهم أو شيء من هذا القبيل. فكما هي الحال مع كل شيء آخر، تتطلب الكتابة ممارسةً، و أنا أعتقد بأن درجة الكتابة الابداعية الصحيحة يمكن أن تكون نافعةً إلى حد كبير. و يبدو أن البعض يرون أن الكاتب يمضي و يضع صيغةً لرواية عظيمة في غرفة في مكان ما ثم يتقيّأها في خمود، بطريقةٍ لا إحساسَ فيها. إذا كنتَ كاتباً جيداً و رحتَ تحضّر لدرجة في الكتابة الابداعية، فإنك تُعطى وقتاً لتكتب و يمكنك أن تتحدث إلى كتّاب آخرين. و تقرأ كثيراً، و من خلال أخطاء زملائك تلتقط أخطاءك أنت على نحو أكثر فاعليةً. لكن الأمر مفيد فقط إذا ذهبتُ هناك بقدر معين من التفتّح. فسيكون هناك دائماً طلبةٌ يعتبرون عملهم الابداعي كاملاً كما هو ـ و ربما هناك قلّة محظوظون يصحّ عليهم ذلك ـ لكن معظمنا بحاجة إلى الوقت و النصيحة و النقد.

× إن قسم " شيءٌ ما قريب إلى السماء " من روايتك يتعلق باستراليا، و لو أنه غير محدد بها. فالقصة تتحدث عن إحساس أوسع بالغربة، و الضياع، و الاغتراب.

– لقد قرأتُ لعدد من الكتّاب الاستراليين، و أنا أرى أن هناك في الغالب إحساساً بالغربة أو الضياع في ما يتعلق باستراليا و المشهد الطبيعي landscape. وأظن أن المشهد الطبيعي يتلاءم مع الشخصيات التي أود الكتابة عنها، شخصيات لا يمكنها أن تُبدي نوعاً ما من الشعور الكبير بالذنب أو التراجيديا الذي يمكن أن يكون لديها.

إنني أميل للكتابة عن أماكن لا أكون فيها، و هكذا فمتى عشتُ في استراليا كتبتُ عن انكلترة، و متى أكون في إنكلترة أكتب عن استراليا. أعتقد بأن الشعور بالحنين للوطن هو ما يدفعني في الكثير من كتابتي، و أنا لحد الآن لم أحدد أيّاً منهما هو وطني.

× أنتِ تكتبين بشكل حيوي رائع عن الهجران و فقدان الأمل، عن الجوع إلى كل أنواع الأشياء. و أحد الأشياء التي أثّرت بي من هذه القصة هو تقمّصها العاطفي empathy. الرجال الذين يجد ليون، بطل القصة، نفسه و قد نبذ المجتمع الأوسع و حاول أن يخلق مجتمعاً منهم ـ مجتمعاً مجرداً من النساء و الأطفال. هؤلاء الرجال يرون إلى " بلدتهم " باعتبارها مُبهجة، لكن هذه البيئة غير الطبيعية قد أفسدت بطبيعة الحال الطريقة التي يفكرون و يشعرون بها. و قصتك لا تجعل من هؤلاء الرجال شخصيات كاريكاتيرية أو تحكم عليهم أبداً.

– في (بعد النار، صوت صغير ساكن)، عاد ليون من فيتنام و يحاول أن يتعايش مع الآثار الجانبية لتجربته تلك. و حين كنت أعيد البحث في الرواية، تحدثت إلى خالي الأسترالي الذي كان مجنداً و قاتلَ في فيتنام. كان عمره آنذاك تسعة عشر عاماً و كان عليه أن يقتل الناس. و عندما رجع وجد أن أحداً لا يريد أن يسمع شيئاً عن ذلك. و قد أخذه جدّاي من المطار، و هما منفعلان لكونه لا يزال حياً، و ذهب الجميع إلى أقرب حانة للاحتفال بذلك، لكنهم، و لأنه كان بالزي الرسمي، طُردوا من هناك. و قد حاولتُ التفكير بالصمت الغريب الذي يمكن أن يحس به المرء و قد قاتل في حرب ثم توقعوا له أن يتدبر أمره من دون مساعدة، و لا حديث عن ذلك. شكراً جزيلاً. لقد تزوجت أخت جدتي رجلاً قاتلَ في الحرب العالمية الثانية فكان بطلاً كبيراً في العلن، لكنه في الخفاء كان يضرب زوجته. و كل واحد كان يعرف لكن ما من أحد مستعد أن يتحدث عن ذلك. إنك لا تستطيع أن تتحدث عن الأمور السيئة التي قد حدثت، و إنما البطولية فقط. و أنا مهتمة بفكرة أنه ليس الشخص هو الوحشي و إنما هي الأمور التي تحدث.

× هل مجتمع الرجال في قصتك " شيء ما قريب إلى السماء " بأية حال هو ملاحظة أو تعليق منك على نوع معين من الذكورية، نوع ميّال إلى العدوان، العنف و الخوف أو عدم الثقة في أولئك الذين يختلفون عنهم؟

– إن روايتي هذه تدور حول رجال و الأشياء التي لا يستطيعون التحدث عنها. فأنا يمكنني أن أدرك لماذا سيودّ شخص ما أن يعيش خارجاً في مزرعة من دون آخرين يجد أنهم يهددونه ـ ففي هذه الحالة لا نساء و لا أطفال، لا شيء يفقد اعتباره له. ذلك يشبه الدافع لأن تبقى في الفراش و تعيش في خيالك بقية عمرك.

يحبونه لأنه كتب عنهم بصدق .. الشيشان يخلدون تولستوي بإقامة متحف له

ترجمة: نجاح الجبيلي

أعيد مؤخراً افتتاح متحف مخصص لليو تولستوي في قرية في الشيشان حيث قضى فيه سنواته المؤثرة ككاتب في خمسينيات القرن التاسع عشر و حذر من خطر رحلة روسيا لترويض هذه المنطقة العنيدة في شمال القفقاس. يقع المتحف في "ستاروغلادوفسكايا" وهي مستوطنة قوزاقية سابقة استخدمت كقاعدة عسكرية خلال الحملات القيصرية ، وقد بقي سالماً لأكثر من حربين حديثتين – بدءاً من ١٩٩٤ حتى ١٩٩٩- اندلعتا في هذه الجمهورية الروسية و دمرت المنطقة بشكل كبير.

وقد تم افتتاح المتحف في ١٠ كانون الأول ٢٠٠٩ في بناية جديدة بمساعدة رمضان أ.قادروف رئيس الشيشان القوي حليف الكرملين الذي يفتخر بالمشاريع التي تؤكد نهوض هذه الجمهورية من الخراب، وفلاديمير تولستوي حفيد تولستوي الأكبر ومدير عزبة "ياسنايا بوليانا" التي يمتلكها تولستوي في منطقة "تولا" قرب موسكو.

وقال مدير المتحف سلافيدي زاغيبوف بأن مبلغاً قدره ٣,٤ مليون دولار قد خصص لإعادة بناء المتحف قد جاء من مؤسسة قادروف الشخصية. وفي اليوم نفسه أعيد في الشيشان بناء متحف آخر مخصص لميخائيل ليرمنتوف الشاعر الروسي الذي عاش في القرن التاسع عشر والمعروف بوصفه للقفقاس.

وقد بدأ مشروع متحف تولستوي حين طلب حفيد تولستوي المساعدة من الرئيس الشيشاني. وخطط لإعادة البيت المدرسة في بداية القرن العشرين حيث كان المتحف مقاماً فيها قد تم توسيعها وكانت النتيجة بناية جديدة.

وقال السيد تولستوي في مقابلة بالتلفون: " أعده من واجبي المساهمة".

وأضاف أن متحف ياسنيا بوليانا سوف يعمل على خلق معرض دائم للمؤسسة المجددة في "ستاروغلادوفوسكا" لتضم نسخاً ذات نوعية ممتازة من وثائق الأرشيف التي تتعلق بأعمال تولستوي وحياته.

ويهدف المتحف أيضاً إلى تصوير حياة الشيشان في الزمن الذي سكن أثناءه تولستوي فيها.

وكان تولستوي يحظى بإعجاب كبير في الشيشان حتى أن هناك قرية سميت "تولستوي-يورت". وقد زار فلاديمير تولستوي لأول مرة "ستاروغلادوفوسكا" في عام ٢٠٠٠ وهي تبعد ٥٠ ميلاً من غروزني العاصمة الشيشانية.

وقال: " زرت المتحف في تلك اللحظة وقد أدهشني تماماً. إنه المتحف الوحيد في منطقة الشيشان الذي لم يغلق وعمل خلال الحرب كلها.

والنصب المقام لتولستوي في الساحة المخصصة لهذا المتحف لم يتعرض للتدمير. وقد وقف الوقت كله. بالطبع هذا يتعارض كلياً مع ما رأيته في ذلك الوقت في العاصمة غروزني حيث تم تحطيم المتحف الوطني وتعرض للنهب والسلب".

وكان على فلادمير أن يأتي ليرى المكان حيث قضى تولستوي ما يقارب ثلاث سنوات في خمسينيات القرن التاسع عشر وهو يعيش بين القوزاق الذين كانوا حينئذ في حالة نزاع مع الشيشان وكتب هناك رواية "الطفولة" وهو العمل الذي جلب له الشهرة.

وتجربته هناك تشربت وأنتجت قصصاً أخرى مثل "القوزاق" و"الغارة" و "الحاج مراد" مع حس بالمكان وفهم القوزاقيين الذين أعيد الاهتمام بهم بعد أن أصبحت روسيا متورطة جداً هناك بأعمال العنف مرة أخرى في تسعينيات القرن العشرين.

في قصة "الحاج مراد" كتب تولستوي عن جماعة شريرة تمتاز بالقسوة ووصف حنق الشيشانيين على الجنود الروس: " لم يكن بغضاً، لأنهم لم يعتبروا أولئك الكلاب الروس بشراً؛ لكن كان الاشمئزاز والنفور والارتباك من القسوة الحمقاء لتلك المخلوقات إذ أن الرغبة بإبادتهم – مثل الرغبة في إبادة الفئران والعناكب السامة أو الذئاب- كانت غريزة طبيعية تتعلق بحفظ الذات ".

لو أننا نحيا ، الحياةُ جميلةٌ

ياسين طه حافظ

متنكرّين نعيش أياماً مرقّعَةً على
أمل بان
نلقى ممرّاً للخلاص ، وكل شيء
حولنا
يزدادُ سوءاً .
قد توسّلنا ، انحنينا للتراب ، لعلنا
نحظى بحب الله ، يمنحنا حمايتَهُ
ويُنقذنا
من الشرّ الذي يأتي ، وقبّلنا المراقدَ
:
يا الهَ الكون انقذنا !
وعدنا دونما أمل ..

ننساق منتَهكين للظل المهدَّد
باختراق الموت –
هل أحدٌ يفسّرُ هذه الاحلامَ؟
لكن الكوابيس الكبيرة لاتُفَسَّرُ
حين
تُمطرُنا بقتلى والدم المسفوحُ يرسمُ
فوق ايدينا محاذيراً وفوق الارض
موعظة

أبقى وراء الحائط : احتشدت على
اوجاعه : خِرَقٌ- ضِمَادات ، رقى
بَلِيَتْ- شعاراتٌ
أبادلُ بعض ألفاظي ببعض ، علّني
ألقى جوابا ، علني أحظى بومضٍ
قد
يفرُّ من الحروفْ .

لا ليس للشعر الكلامْ
احكامُهُ تُلغى بشفرات الحقائقِ –
تلك مقبرةٌ
مفتوحةٌ أبوابُها .
ومساؤنا ،
خالٍ بلا صوت ، ولا نَسَم ، كأنْ
يمتدّ ظل المَوت ، اسمعُهُ وأحسُّه
يأتي .. ،
فراغٌ ! ليس من أحد
إلا بقايا القش فوقَ الماء يطفو ،
غيرُ امكنة لنطبع فوقها الاقدامَ ،
نعبُرها
هذي قبور حولنا .
الاحراش قد ضمنت طعاماً للشتاء .
وهذه الدنيا تقوّض سقفَها الأنواءُ .
حاولنا نعيد صناعة الاشياء ،
حاولنا ،
وكانت تضحك الأحجار في يدنا
وترجع
مثلما كانت ترابْ .

وأنا نزفتُ الشعَر كي أُدني وأُبعدَ ،
كي أُعيد غزالة ضوئية قُتِلَتْ امام
البيت
أرفع رأسها واعيدها . مقتولةً !

هل تقبس الكلمات ضوءَ الله ؟ قد
تَعبَتْ
كفي من الكلمات ، اكتبها وامسحها
وأعودُ ، بعد النضح ، اكتُبها وانتظرُ
التماع الومض . اية حرفة!
مرّت حياتي كلها
اترقّبُ اللمْعَ الذي يأتي ،
تعبتُ من الكتابة . هذه الاشعار
جاءتني بكل كوارث الدنيا
ليسمو الشعرُ ، كي تتكشّف الاسرارُ
،
كي تعرف ما الارض التي نمشى
عليها ،
ما الحياة وما وراء القهقهات الصُفْر
والتقبيل والصخب الكثير - عبارتي
عترَتْ !
هنا جثت فوق السطور تنامُ !
مفزعة حقائقنا .
وما أوتيتُ من لغةٍ ، صراخ ، أو
اشارات
ودقات على الابواب مغلقةٌ ،
ما أطلعت شيئاً .
كما في البدء ، اجتاز الغمامة كي
انال
رغيفَ يومي ، مثلما في البدء
مازالت عيوني نحو باب الله ، باب
الله
مغلقةٌ
أتوسّل الاوغاد كي يرضوا لا خدمهم
،
وتلك فجيعةُ العصر المخيفةُ . ما
يقول الشعرُ ؟
صمتا !
مرّت الدنيا قطاراً يحمل الموتى
ونحن نعيش أرصفةً وخوفا ... ،

هي هكذا الايام نلبسها ونخلعها
مهلهلةً ،
قرون قبلنا ، والناس تلبس هذه
الاسمالَ .. ،
هذي محنةٌ .
الناس ، الارض ، الحياة ، الخبزُ ..
كل الخطّ
من وجع وقبْح . هكذا
نحيا الحياةَ وليس نحياها / يعود
قطارُها
لحمولة أخرى ،. يلوح دخانُهُ
ما بين اشعاري .. وادركتُ الحقيقةَ
اننا
من يستحق العطفَ
نحن لنا الرثاء .

ارنو الى الرمث الذي يطفو وابتسمُ
ابتساماً اخرقاً . بحثا عن المعنى ؟
هنالك آخرٌ مثلي ،
وذلك ثالثٌ ... نرنو الى الدنيا
وكلٌ ركبتاهُ تحت ذقنه
مثلُ شحاذ ..
وننتظر المروءةَ ، نرقب الفرحَ
الذي يأتي وننتظر الحياةَ تطيبُ
... ،
ظلَّ شتاؤنا مرّا .
لو هذه الاشعارُ تصنع بعض حلوىً
نستسيغُ بها انتظار الموتِ ،
لكن القطارَ
وصل المحطةَ ،
كل من في الارض يرفض ان يسافر
فيه :
أقواسُ المحطة حلوةٌ
والريحُ حانيةٌ تلامسُنا عذوبتُها
وزحامُها المكتظ يختزن الحياة وكلَّ
فرحتها ،
النهارُ غلالةٌ ذهبٌ على الاشجار ،
ضاحكةٌ تمرُّ الاوجه العسلية
القمراءُ
تعبرُ سحرُها معها ...
لو اننا نحيا الحياة نظيفةً مغسولةً
بالضوء
بالمطر الذي تتمايل الاعشاب من
قطراتِ
لذّته
وأنا اهزّ الرأسَ منتشياً مع الاشجار
يرويها ويُندي حرَّ رغبتها المطرْ
وهناك من يخلو بصاحبةٍ . اني
احسُّ
الوهج في خدّيَ ...،
مصطبةٌ
تعادلُ في فضاء الله كلَّ مراكب
الدنيا :
يمدُّ يداً ، تمانع ،. ثم ... ، هذي
لقطة
سيظل يحتفظ الشتاء بها :
تبقى الحياة جميلةً ، لو اننا نحيا ،
الحياةُ جميلةٌ !

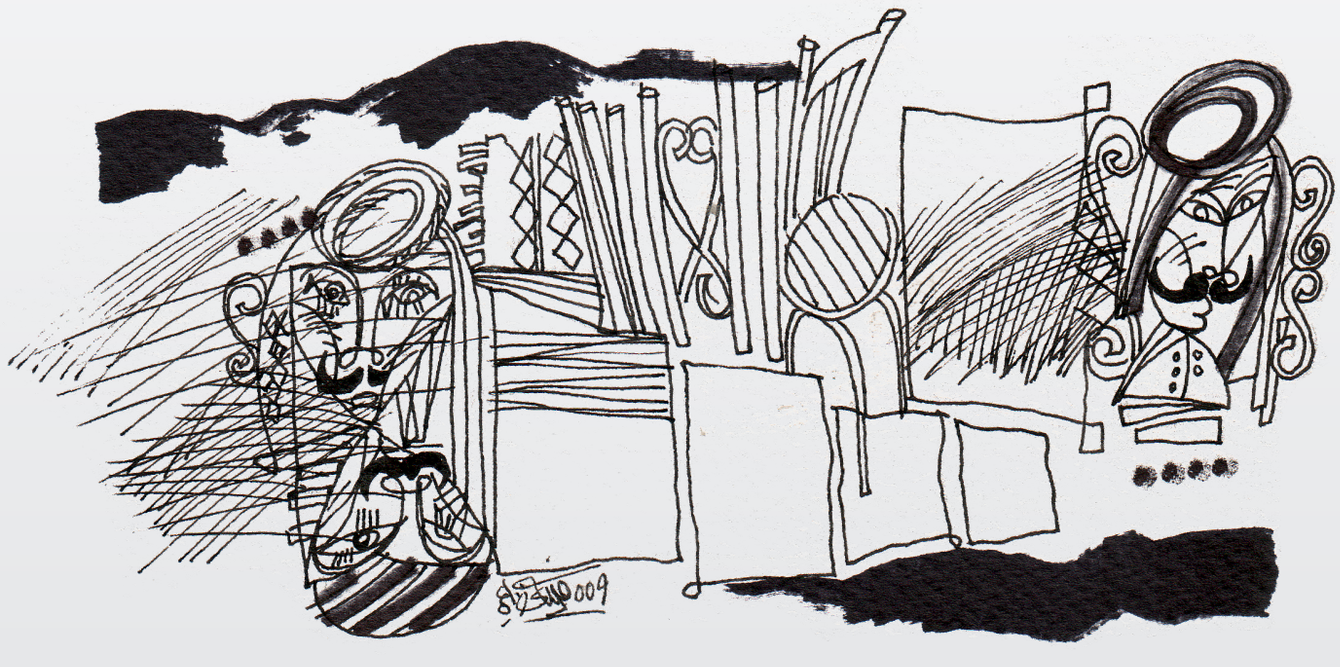

من البرج العاجي

٢٠١٠: حديث بالمناسبة!

فوزي كريم

ينتهي العامُ كلَّ عام بلحظة هتاف من حناجر الناس. قوّتها لا تنبعثُ من رغبةٍ في التعبير عن مسرّة كامنة، بل رغبةٍ في التعبير عن توقٍ كامن لحياة أخفّ وطأة، وأقلّ ألماً. مسرّةٌ طالما ارتضت الانتظارَ الصبورَ على الأعتاب، ولم تُقبل على الناس، في عُرف أكثر الناس رضاً! يسبقُها إليهم عطاءٌ لا ترتضيه النفسُ، من الفقدان، والتضحية المجّان، والجريمة، والحرب، وأزمات المعيشة، وخيبة الأملَ...

الذي يُطلُّ على الأرض من مَبعدَة، يرى أن صرخةَ الحناجر تلك واحدةٌ متكررةٌ عبرَ التاريخ. ويرى أن خطوات الأقدار العمياء هي هي، موحلةٌ، داميةٌ. وكأن ما حدث هذا العام ليس أكثر من صدى للعام الذي فات، ولكل الأعوام التي سبقته. ولقد اعتاد الإنسانُ ابن الأرض هذه الدورةَ اليسيرة كدورة دمه، واعتاد هتافه المتحرّق للمسرّة التي لا تُقبل.

ابن الأرض لصيق الأرض، ولصيقُ التاريخ. الشاعرُ كذلك مع زيادة ليست في حسبان أحد. هو ابن الأرض ولصيق التاريخ شأن الجميع، ولكنه أيضاً قادر على أن يُطلَّ عليهما من مبعَدَة فيرى. يرى في التاريخ حجاباً يُخفي ما لا يُرى. كما يرى في "أديم الأرض" سرَّ أجسادنا المعرّضة للزوال (المعرّي).

السنةُ تنتقلُ في لحظة إلى السنة التي تليها، عبر حناجر الناس. هتافُ الحناجرِ يُيسّر هذا الانتقال، ويمنحه صبغةً آملةً. زمنُ الشاعر لا يتحرك ذات الحركة. لأنه حين يرقبُ السنةَ وانتقالها، يعرف أن السنةَ تجريدٌ، وأن اسمها رقمٌ رمزيٌّ من أرقام الحساب. وأن وراء الزمن التاريخي آخرُ ثابتٌ ثبات البحر المحيط. فقصيدتُه التي تنتسب لهذا الزمن الثابت تشهدُ بذلك: ألمْ تكن كتابتُها "إعادةَ كتابة" لقصيدة، طالما تعرّت بمفاتنَ جديدة عبر "التكرار الأبدي"!

حشرُه مع الناس عيدٌ، ومسرّتُه بمسرتهم. وفي كلِّ ما يكتب ابتهالٌ من أجل مزيد من الآمال، تضفي على أرواحهم ندى الليل، وتحفظها من الجفاف. على أنه في كل هذا المسعى لا يراهم إلا عبر نافذة في داخله مُشرَعة. نافذة يُغلقها في ساعات نومه فقط، لأن أحلامَ الليل في داخله لا تُحوجه إلى نافذة للتطلّع.

على مرايا عينيه، وهو يتأملهم، تنعكسُ مراوحُ أسرارهم التي لا تهدأ: صحافةٌ تجعل من كلِّ حدث كانَ، مفاجأةً ليست في الحسبان. أسواقٌ تعبث في مصائر الناس بمهارة لاعب سيرك. دولةٌ تختبرُ سلطانها في الخفاء، على خشبةٍ مسرحَ بالغ العتمة. سَحرَةٌ، محترفو رايات، يهتفون: نعرف ما لا تعرفون، وبيدنا مفتاح الأسرار! وجرذانٌ تنبش في القاعدة التالفة للسُدّ الحصين!

مُنشغلٌ في قراءة كتابه في الليل الأخير من السنة. وفي اللحظة التي يرونَها الآخرون حاسمةً، لا يرى هو فيها غير صفحة في القراءة، يقلبها في الفجر الأول من السنة الجديدة ليواصل. الصفحاتُ بالغة التشابه، والكلمات تنتسب لمعانيها. والمعاني لا تؤرّخُ إلا للروح. الفكرةُ التي كانت عالقةً على أهدابه أنضجتها حركةٌ للنمو عموديةٌ لا أفقية. وحركةُ التاريخ أفقية. رائحةُ الشاي التي يحبها مع الفجر، تستحضر له ماضيه كرائحة، لا كأحداث. وذاكرتُه تستحضر أمّه على هيئة دفء مفاجئ. زمنه الماضي لم يخلّف إلا رموزاً حسابيةً مجردةً تليق بتقويم رسمي. يمنحها هو سحرَ الأسطورة، لتعود فاعلة في مخيلته، وحية.
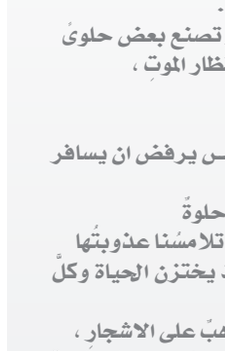
إنه يعرف الفاصلَ بين إنجاز كتاب، والشروع بآخر. بين صمت اللوحة حين تكتمل، ولغوِ الأخرى حينَ تبدأ. بين فكرةٍ تَخيب فتتلاشى، وأخرى تنبعث ناشطة. بين حُبٍّ خائبٍ يتوقف عن حكمة، وجديد طائش لا رشاد له... ولكنه لا يُحسن معرفةَ الفاصل بين نهايةِ سنة، وبدءِ أخرى. لا يسمع وقع خطوةٍ استثنائية، أو صريرَ بابٍ يُغلقُ وآخرَ يُفتح، أو سقوطَ ورقةٍ ذابلة إيذاناً بسقوط ندفٍ الثلج. أو خاتمةٍ لحركة "أَلليغرو" متسارعةٍ، وبداية لحركة "أداجيو" بطيئة. لا يُحسن معرفة ذلك، وقد تجاوز الستين!